

الرضاعة الطبيعية بين القرآن الكريم و العلم

Breast feeding between the Koran and science

١ .د. عميرة جويذة جامعة جامعة أبو القاسم سعد الله (الجزائر 2)

الملخص

هذه الاوراق العلمية تتناول موضوع الرضاعة الطبيعية والعلاقة العلمية بينها وبين القرآن من خلال التعامل مع النصوص الدينية الاسلامية والإلية التي تعاملت بها مع هذا الموضوع ، وتأكيد القرآن على حق الرضاعة للطفل والمدة الزمنية التي جدها للرضاعة وعناصرها العلمية

Abstract

These scientific papers dealing the subject of Breast feeding and the scientific relationship between them and the Koran by dealing with Islamic religious texts and the mechanism by which dealt with the subject, and the confirmation of the Koran on the right breast of the child and the time period prescribed by the Breastfeeding and which scientific elements

المقدمة

ينصح جميع الأزواج في الإسلام بتحديد الفترة الزمنية مابين الحمل عن طريق الرضاعة الطبيعية، ذلك لان الرضاعة الطبيعية من صدر الأم أوصى بها القرآن الكريم، بينما الحمل في فترة الرضاعة غير مستحب، كما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالإسلام ليس بدين العبادة فحسب، بل انه أكثر شمولاً، فهو أيضاً نظاماً اجتماعياً كاملاً، يتضمن قيماً ومثلاً وخصائص وأهدافاً يعتبرها الإسلام غاية الكمال الإنساني في كل مجالات الحياة.

والإسلام في كل تدابيريه يحدوا منطقياً حيث يتماشى مع الفطرة الإنسانية. حيث ترؤف بأمته، ولم يفرض عليها أعباء فوق الاستطاعة، أو قيود غير محتملة بل راعى التيسير و التسهيل و التخفيف ما أمكن ذلك. وهذا يتبين واضحاً في كثير من الآيات الشريفة حيث جاء في سورة البقرة الآية 185 بعد بسم الله الرحمن الرحيم " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " كما جاء في سورة النساء الآية 28 بعد بسم الله الرحمن الرحيم.

" يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً ".

ويمكن أن يتضمن هذا التعاطف التخفيف من أعباء الحمل المتقارب أو المتكرر من حيث تضرر صحة الأم والطفل، إذ أن القاعدة العامة في التشريع الإسلامي تقضي بأنه " لا ضرر ولا ضرار " وهذه قاعدة عامة يلجأ إليها الفقهاء في فتواهم. فإذا كانت الخصوبة الزائدة وحالات الحمل المتقاربة تؤدي إلى خطر على الأم أو الطفل فعندئذ يرى جمهور الفقهاء أن الإسلام يسمح للمسلمين بان ينظموا أسرهم بطريقة تقضي على هذه المخاطر و الصعوبات أو تحد منها.

1- الرضاعة الطبيعية في القرآن الكريم:

هناك اتفاق شامل بين جمهور الفقهاء وهو انه لا توجد آية قرآنية صريحة تبين تحريم أو كراهية المباشرة بين الولادات بطرق صحية وسليمة، وفي مدد مباحة شرعاً ومن بين الوسائل التي تضمن هذه المباشرة نجد الرضاعة الطبيعية. ففي سورة البقرة الآية 233 يقول عز و جل بعد بسم الله الرحمن الرحيم.

"و الودات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة و على المولود له رزقهن و كسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها، لا تضار والدة بولدها و لا مولود له بولده و على الوارث

مثل ذلك فإن أراد فصلا عن تراض منهما و تشاور فلا جناح عليكم إذا أسلمتم مآءاتيتم بالمعروف و اتقوا الله و اعلّموا أن الله بما تعملون بصير".

لقد بين الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة المدة المثلى للرضاعة الطبيعية و المقدرة بسنتين كاملتين/حوليين كاملين، وذلك لتأكيد على أهمية الرضاعة الطبيعية ولتأكيد على إتمام مدة الإرضاع لما فيها من فائدة تعود على صحة الأم والطفل على السواء. والذين هم من خلق الله عز و جل و هو أدرى بمخلوقاته و الفوائد التي تعود عليهم حيث قال عز و جل بعد بسم الله الرحمن الرحيم، في سورة الملك الآية 14 " ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير".

إن فإرضاع الطفل لمدة حولين كاملين / عامين كاملين تضاف إليهما فترة الحمل و المقدرة بتسعة أشهر فتقريبا ستكون المدة الفاصلة بين كل مولود و آخر ثلاث سنوات و هي بذلك مدة كافية و مناسبة كي تسترجع الأم صحتها و عافيتها، و بالتالي تنعكس صحتها على صحة رضيعها بتغذيته من حليبها.

و في سورة لقمان، الآية 14 يقول عز و جل بعد بسم الله الرحمن الرحيم : " ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن و فصاله في عامين أن أشكر لي و لوالديك إلي المصير " فهذه الآية مرة أخرى تحدد المدة الفاصلة بين مولودين بحوالي ثلاث سنوات، تسعة أشهر للحمل و عامين للفصال حتى يستطيع أن يأخذ الرضيع حقه من الغذاء والحنان.

و في آية أخرى كذلك وهي سورة الأحقاف، الآية 15، يقول الله عز و جل بعد بسم الله الرحمن الرحيم : " ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها و وضعته كرها و حملته و فصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ الأربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي و على والدي و أن اعمل صالحا ترضاه و أصلح لي في ذريتي أني تبت إليك و أني من المسلمين"

فهذه الآية مرة أخرى تشير إلى الحمل و الفصال إلا أن الله عز و جل قد حدد هذه المدة بثلاثين شهرا، تسعة شهور للحمل و 21 شهرا للفصال أي عام و تسعة أشهر.

2- المعجزة القرآنية في الفترة المحددة بعامين للإرضاع على صحة الطفل:

تأكد البحوث العلمية اليوم أن الرضاعة الطبيعية هي أحسن الطرق لتغذية الطفل فليس في الأغذية الطبيعية أو الصناعية ما يشبه هذا الحليب. فالحليب الذي يعطى للطفل من أمه يكون ملائما له، ووافيا

بكل حاجاته و محتويا على كل ما يفيد في نموه وتطوره بنجاح. والجدول التالي يبين لنا الفرق في القيمة الغذائية بين حليب الأم وحليب البقرة.

النوع	البروتينات	الدهنيات	الكربوهيدرات	المواد المعدنية	السرعات الحرارية
حليب الأم	1.5	4.00	7.00	0.20	70
حليب البقرة	3.4	3.8	4.00	0.75	68

نلاحظ من هذه المقارنة الفرق الكمي بين حليب الأم وحليب. أما الفرق الكيفي فان أهميته اكبر من حيث الخصائص الفيزيوكيميائية و البيولوجية. فالتناسب الموجود في حليب الأم بين البروتينات و الدهنيات و الكربوهيدرات يهيئ الظروف المثالية لهضم هذه المواد وامتصاصها وتمثيلها. ثم أن كل جزء من المواد الغذائية التي يحتوي عليها حليب الأم مختلفة عن الآخر.

فحليب الأم يحتوي كثيرا من الزلال و الجلوبيولين وقليل من الكازيين (وهو بروتين ثقيل النوعية) لا يهضمه الجهاز الهضمي عند الطفل إلا بصعوبة. كما أن بروتينات حليب الأم قريبة إلى بروتينات الدم والأنسجة عند الطفل، ولهذا فان تمثيل البروتينات يجرى لديه بشكل أسهل وتكون أكثر نفعا له.

كما نجد أن تركيب الكربوهيدرات و المواد المعدنية في حليب الأم تحتوي على كثير من الإنزيمات، كما يحتوي على مختلف الأجسام المضادة (antibiotique) المتميزة وغير المتميزة التي تشكل عند الطفل مناعة ذاتية في المرحلة الأولى من حياته ضد الأمراض المعدية (مع العلم أن هذه المادة لا توجد في حليب أي حيوان آخر)، صف إلى ذلك فحليب الأم معقم وخال من الجراثيم (1).

هذا من جهة ومن جهة أخرى نجد أن الماء الموجود في حليب الأم كافيا لتلبية حاجات الطفل حتى في المناطق الحارة والجافة. لهذا ليس من الضروري إعطاء الماء للطفل أو مشروبات أخرى إضافية.

لهذا تبين الإحصائيات أن نسبة الوفيات اقل بأربعة مرات إلى غاية ست مرات بين الأطفال الرضع الذين يتلقون التغذية الطبيعية إذا قورنت بالوفيات بين الأطفال الذين يتلقون غيرها من أنواع التغذية. بحيث يزداد احتمال حدوث الإسهال أو أمراض أخرى إذا ما أعطي للطفل أغذية أخرى أو مشروبات مكان حليب الأم.

فالرضاعة الطبيعية هي التلقيح الأول للطفل. تساهم على حمايته من الإسهال وأمراض الأذن وقصبات الرئة ومشاكل أخرى صحية. فالحماية تكون أنجع عندما لا يتلقى الطفل سوى حليب الأم حتى سن ستة أشهر تقريبا ويبقى يتلقى الحليب خلال السنة الثانية ولا يستطيع أي شراب أو غذاء توفير مثل هذه الحماية للطفل.

كما أن الطفل الذي يرضع حليب أمه قلما يصاب بالإمساك حتى ولو لم ترضعه منها إلا بضعة أشهر فقط، إذ أن هناك فائدة مؤكدة من تلك البداية للطفل. ضف إلى ذلك فإن لحليب "السرسوب/ لبأ" (هو ذلك السائل الذي يتدفق من ثدي الأم خلال الأيام القليلة التالية للولادة) يحتوي على وقاية الأطفال الرضع من الأمراض المعدية في بدء حياتهم.

ومن كل هذا نفهم أن حليب الأم هو الغذاء التام النافع للطفل، وهو الغذاء المناسب الذي لا يسبب ضيقا للطفل الجائع لأنه ليس بحاجة للتخضير، وكل ما يحتاجه هذا الإرضاع هو العناية بغذاء الأم المرضعة فقط.

3- لماذا كانت الرضاعة الطبيعية حق من حقوق الطفل في الإسلام.

للطفل في الإسلام حقوق متعددة منها الحق في الرضاعة الذي جاء بنص قراني صريح (سورة البقرة الآية 233) "و الوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة".

ومن حق الطفل كذلك ألا ترضعه حامل، أو أن تحمل أمه وهي ترضعه، لان ذلك قد يؤدي إلى الغيل كما وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم. حيث روى أبو داود عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول : " لا تقتلوا أولادكم سرا فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه "(عبد الرحيم عمران.1994،ص44) و المراد منه أن لا ترضعن أولادكن و أنتن حوامل. أي لا تقتلوا أبناءكم سرا لأن الغيل مجامعة الرضيع هو كالفارس الذي يجندل في المعركة من فوق فرسه.

ولقد اثبت علميا في الطب الحديث أن إعطاء الحليب للرضيع من أم حامل يسبب له أضرارا صحية بالغة الأهمية على مستوى جهازه الهضمي و جسمه ككل. و يؤكد الطب الحديث نشوء آثار سيئة

للرضاعة من لبن الحامل على الجنين و الطفل الموضع يظهر آثارها مع تقدم سنهما. و قد أشار الرسول عليه الصلاة و السلام إلى هذا كما رأينا.

فان حدث هذا فالأم نجدها قد اعتدت على حق رضاعة طفلها وعلى جنينها، لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تفي بمستحققاتهما الغذائية مهما كانت صحتها وقوتها الجسمية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان الطفل الرضيع عند أخذ لبن أمه يتمتع بحقه الثاني ألا وهو العطف والحنان، فيكون بذلك مستقر نفسيا حيث يساعد الاهتمام بالطفل وإرضاعه على تفتحه و نموه ويقوي عنده عاطفة الأمن. فعموما الأطفال الذين غدوا بحليب الأم يكونون قد تلقوا عناية خاصة، فالإرضاع المتكررة يخلق اتصال وثيق بين الأم وطفلها ويساعد على تكوين العلاقة الطيبة بينهما وبذلك يكونون أكثر نشاطا من الذين تناولوا الحليب من زجاجة الرضاعة.

4- المعجزة القرآنية في الفترة المحددة بعامين للإرضاع على صحة الأم:

كما تساعد الرضاعة الطبيعية الموصى بها في القران الكريم الأم من ناحية الغريزية، إذ أن حركات المص الواقعة على الحلمة تنبه الأعصاب المعصبة للرحم فتساعد بها بذلك على الانطمار (أي العودة لحجمها الطبيعي) بعد الولادة.

كما أن الإرضاع يقلل كمية النزيف في الأسابيع الأولى بعد الولادة، وتقلل من مضاعفات احتقان الثدي وكذا احتمال الإصابة بسرطان الثدي فيما بعد (الجمعية المصرية للصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة. السنة غير مذكورة، ص 22).

و لقد بين علماء النفس أن الإرضاع يساعد الأم من الناحية النفسية، إذ أنها ترتاح كثيرا لإرضاع طفلها فتشعر بقرية منها بازدياد محبتها له يوما عن يوما كما أن الطفل بدوره يشعر بالاطمئنان و الحنان عندما يلتصق بصدر أمه وعندما تحضنه بذراعيها (حافظ تورت . السنة غير مذكورة، ص 74).

كما أن الرضاعة الطبيعية الموصى بها في القران وسيلة لتباعد الولادات لان عملية التبويض لا يمكن أن تحدث إذ تحفز هرموناي LH-FSH اللذان يؤديان بدورهما إلى تأجيل عودة فترة التبويض خاصة في ستة أشهر الأولى.

و تشير النتائج الطبية كذلك أن هرمون البرولكتين Prolactine الذي يفرز نتيجة رضاعة الطفل بتنشيط إنتاج الحليب، يكون مصحوبا بعدم ظهور التبويض و تزيد فترة عدم الإباضة هذه عندما يرضع الطفل بصورة متكررة ليلا و نهارا.

ولقد اثبت علميا انه بقدر ما يكثر الطفل من الرضاعة بقدر ما يطول غياب العادة الشهرية عند المرأة. لهذا يجب تغذية الطفل بالثدي أكثر من 8 مرات في 24 ساعة (يونيسف. السنة غير مذكورة، ص43).

كما أثبتت التجارب العلمية أنه كلما طالّت الفترة بين مولود و آخر كلما زادت فرص استرجاع الأم لصحتها و عافيتها، حيث أن الحمل و الرضاعة و تربية الأطفال يؤثران على صحة الأم و إلى هذا الشأن أشارت الآية الكريمة السابقة " لا تضار والدة بولدها " فإطالة المدة الفاصلة بين مولودين/حملين وكذا إرضاع الطفل تمكن الأم من استرجاع ما فقدته من صحتها و جهودها في الحمل و الوضع و التربية.

والى هذا ما ذهب إليه خيرة أطباء الإسلام الذين قد درسوا طرق منع الحمل ونقلوا هذا إلى أوروبا، إذ ظلت كتب الطب الإسلامية تدرس فيها حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي ومن هذه الكتب نجد: كتاب " القانون " لابن سينا، وكتاب " الحاوي في الطب " لإسماعيل الجرجاني، و "الكتاب الملكي" لعلى بن عباس وكتاب "الإرشاد" لابن الجايع، وكتاب "تذكرة داود الانطاكي" (وزارة الأوقاف و وزارة الإعلام.1990، ص48).

الخلاصة:

الأسرة هي اللبنة الجوهرية في المجتمع الإسلامي فبالإضافة إلى كونها مصدر السكينة والتكامل الاجتماعي، فهي أيضا مصدرا للإنجاب والذرية والذي ذكره الله عز وجل في أكثر من آية حيث جاء في سورة الكهف الآية 46 " المال و البنون زينة الحياة الدنيا" وفي سورة آل عمران قال عز وجل " هنالك دعا زكريا ربه، قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة "إلى غير هذا من الآيات الكريمة.

كما أوصى بحسن تربيته ورعايته وتغذيتهم وبين لنا حقوقهم في الصغر وواجباتهم في الكبر. ومن أهم حقوقهم في الصغر تغذيتهم. فتغذية الأطفال ولاسيما الصغار منهم قضية معقدة جدا تتطلب على مسؤولية في غاية الأهمية. ذلك أن الغذاء هو مصدر الطاقة التي يبني منها جسم الطفل وينمو بسرعة، ويتوقف تركيب أعضاء الطفل و أجهزته و وظائف هذه الأعضاء والأجهزة على طبيعة الغذاء الذي يتناوله، لهذا كانت التغذية الصحيحة والصحية لطفل من تدبير الله عز وجل بفرضه لحليب الأم كغذاء ضروري لطفل لما له من فوائد جامة تعود على صحته وصحة أمه.

قائمة المراجع:

- 1- بنكين ستود. صحة الأطفال، دار الطباعة للنشر، ط3، 1985، ص 93.
- 2- الجمعية المصرية للصحة الإنجابية وتنظيم الأسرة. الحمل و الولادة، السنة غير مذكورة.
- 3- عمران عبد الرحيم. تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي، صندوق الأمم المتحدة للسكان، 1994.
- 4- لورت حافظ. رعاية الأم و الطفل، دار الفكر العربي، السنة غير مذكورة.
- 5- وزارة الأوقاف و وزارة الإعلام. موقف الإسلام من تنظيم الأسرة، القاهرة، 1990 .
- 6- يونيسف. الإنقاذ بالمعرفة، جونيف، السنة غير مذكورة.